

صبر على وقعات الدهر

أغار طيء على إبل النعمان بن الحارث بن عمرو الغساني ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له. وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري. فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دم واحد. فخرج يريد طيئاً فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلاً رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم، وحاتم يومئذٍ بالحيرة عند النعمان، فأصابتهم مقدمات خيله، فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولديها فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة وكان لا يسافر إلا وهو معه، فقال حاتم:

[من الطويل]

أَلَا إِنِّي قَدْ هَاجَنِي، اللَّيْلَةُ، الذَّكْرُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ حُبِّ النِّسَاءِ وَلَا الْأَشْرُ^(١)
وَلَكِنِّي، مِمَّا أَصَابَ عَشِيرَتِي
وَقَوْمِي بِأَقْرَانٍ، حَوَالِيهِمُ الصُّبْرُ^(٢)

- (١) ويروى هذا البيت لحاتم الطائي في قصيدة له مشهورة... والنضر: أبو قريش، وهو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. «النحيت»: الرديء من كل شيء. «النصار»: الذهب. «الأشر»: البطر، التكبر والمرح.
- (٢) «أقران، مفردهما قرَن»: جبال: الصُّبْر، مفردهما صَبْرَة: الحطائر. يعبر الشاعر عن أساه، فقومه مقيدون في حظائر الأعداء بجبال غليظة أسرى لا حول لهم ولا قوة.

لِيَالِي نُمْسِي بَيْنَ جَوٍّ وَمِسْطَحٍ،
 نَشَاوَى، لَنَا مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرٌ^(١)
 فَيَا لَيْتَ خَيْرِ النَّاسِ، حَيًّا وَمَيِّتًا،
 يَقُولُ لَنَا خَيْرًا، وَيُمْضِي الَّذِي ائْتَمَرَ
 فَإِنْ كَانَ شَرًّا، فَالْعَزَاءُ، فَإِنَّا
 عَلَى وَقَعَاتِ الدَّهْرِ، مِنْ قَبْلِهَا، صُبْرُ
 سَقَى اللَّهَ، رَبُّ النَّاسِ، سَحًّا وَدِيمَةً
 جَنْوَبَ السَّرَاةِ مِنْ مَأَبٍ إِلَى زُعْرٍ^(٢)
 بِلَادَ امْرِئٍ، لَا يَعْرِفُ الذَّمُّ بَيْتَهُ،
 لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي، وَلَيْسَ لَهُ الْكَدْرُ
 تَذَكَّرْتُ مِنْ وَهْمِ بَنِ عَمْرٍو جِلَادَةً،
 وَجُرْأَةً مَعْدَاهُ، إِذَا نَازَحَ بَكْرٌ^(٣)
 فَأَبْشِرْ، وَقَرَّ الْعَيْنَ مِنْكَ، فَإِنِّي
 أَجِيءُ كَرِيمًا، لَا ضَعِيفًا وَلَا حَصِرٌ^(٤)

(١) «جَوٍّ وَمِسْطَحٍ»: موضعان. «السائمة»: الماشية كالأغنام والإبل والبقرة

ترعى: «جَزْرٌ»: ذبائح للأكل.

(٢) «سَحًّا»: مطراً غزيراً، «ديمة»: غيمة يدوم انهمارها. «السَّراة»: مواضع في

بلاد العرب فيها جبال وقرى. «مَأَبٍ»: بلدة في البلقاء «زُعْرٍ»: بلدة في

الشام.

(٣) «جِلَادَةً»: صبراً وقوة. «مَعْدَاهُ»: عدا عليه وظلمه. «نازح»: مهاجر.

«بكر»: رحل باكراً.

(٤) «قَرَّتْ عَيْنُهُ» هَذَا وَسَكَنَ وَارْتَاحَ. «حَصِرٌ»: لَا يَحْسُنُ النُّطْقَ، عَيْبٌ.